Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

التكامل الدلالي
بين الرسم العثماني والتفسير القرآني

محمد نور الدين المنجد

أستاذ مساعد
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
noor63@squ.edu.om

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/١٢/٠٥
تاريخ القبول للنشر: ٢٠٢٠/٠٣/٢٥

التكامل الدلالي بين الرسم العثماني والتفسير القرآني

محمد نور الدين المنجد

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف خصوصية الدلالة في نماذج من الكلمات القرآنية التي رسمت برسمين مختلفين مع اتفاق نطقهما برواية حفص عن عاصم، بما لا يخرج عن إطار الدلالة المعجمية العامة في السياق القرآني، وذلك من خلال التأمل في سياقاتها، ومقارنة أقوال المفسرين في مواضعها.وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يحرث في أرض خصبة قلّت فيها الدراسات التطبيقية التي تلتمس التكامل بين رسم الكلمة القرآنية ودلالاتها، ولا سيما إذا جاءت في موضعين مختلفين برسمين متباينين. يتكون البحث من مبحثين، يستعرض الأول منهما كتابةَ الوحي ابتداءً بعهد النبي صلى الله عليه وسلم، وتكليفه ثلة من الصحابة الكرام بكتابة ما يتنزّل به جبريل عليه السلام، ثم جَمْعَ ما تفرّق من الصحائف بين لوحين في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم استنساخ مصاحف الأمصار عن ذلك المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه، ويعرض بإيجاز مواقف أبرز الدارسين من الظواهر الكتابية التي تفرّد بها الرسم العثماني في ثلاثة مسالك، هي: سوء الهجاء والبداوة، والتعليل اللغوي، والتكامل بين الرسم والمعنى، ويبيّن تأييد الباحث للمسلك الثالث. وفي المبحث الثاني وقفات مع اثنتي عشرة كلمة، رُسم كلّ منها بصورتين مختلفتين، مرتبة على حروف المعجم بحسب الجذور، حاول الباحث التماس دلالات في الرسم توافق ما ذكره أهل التفسير، ولا تنأى بالكلمة عن المعاجم وما ارتضاه أهل اللغة. ثم الخاتمة تلخص ما ذكر في المبحثين، وتخلُص إلى المعاني التي تميّز بها رسم الهمزة على صورة الياء والواو في أربع كلمات، وحذف الألف في سبع كلمات، وإبدال الألف الممدودة بالمقصورة في كلمة واحدة.

الكلمات المفتاحية: الرسم العثماني، الرسم والمعنى، تاريخ القرآن، المصاحف، السياق.

Cognitive Integration Between Ottoman Scripting/ Calligraphy and Quranic Interpretation

Mohammed Al Munjed

Abstract:

This research aims to explore semantic- specificity in examples of the Qur'anic words which have been written in twodifferent scripts with an agreement of their pronunciation in Hafs novel from Asim, as doesn't get out of the general lexical semantic framework in the Quranic context, through contemplating its contexts, and comparing the statements of the interpreters in its positions.The significance of this research comes from the fact that it is plowing in fertile land where there are few applied studies seeking integration between the scripting of the Qur'anic word and its connotations, especially if it comes in two different places with different scripts. The research consists of two themes, the first of them reviews the revelation writing in the beginning with the time of the Holy Prophet (peace and blessings of Allah be upon him, (when he assigned abunch of the venerable companions to write what is revealed by Jibril (peace be upon him) then collecting what is dispersed of the sheets between the two plates during the reign of Abu Bakr, may Allah be pleased with him, and then reproduction/ copying the Korans of regions from that Koran during the reign of Osman, may Allah be pleased with him, and briefly summarizing the attitudes of the most prominent scholars of the graphic phenomena which is unique to the Ottomans cript in three methods, namely :Poor spelling and nomadism/ bedouin, linguistic reasoning/ explanation, and integration between script and meaning, and shows the researcher's support for the third method.In the second topic, twelve words have been posed, each of them was scripted in two different forms, arranged on the letters of the lexicon according to etymologies., the researcher tried to seeks emantics in the scripting consistent with what thes cholars of interpretation, and not turn away the word from the lexicons and what is chosen by the scholars of the language. The conclusion summarizes what was mentioned in the topics, and concludes that the meanings that characterized by scripting the Hamza (a glottal stop) in the form of Ya' (Arabic letter) and waw (Arabic letter) in four words, deletion (the letter A in Arabic) in seven words, and replace Alef maqsoura to Alef mamdoda in one word.

Keywords: Ottoman Scripting; Calligraphy and Meaning;Hhistory of the Qur'an; The Koran; Context.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن كتاب الله معين لا ينضب، وجديد لا يبلى، يستنهض الباحثين ويحث المتدبرين على الغوص في لججه، للفوز بلآلئ المعاني ودرر المباني لفظًا ورسمًا.

وهذا بحث يلبي الدعوة(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ) [النساء: ٨٢] فيهدف إلى استكشاف خصوصية الدلالة في نماذج من الكلمات القرآنية التي رسمت برسمين مختلفين مع اتفاق نطقهما برواية حفص عن عاصم، يتأمل الرسم والمعنى في سياقاتها، مستهديًا بأقوال المفسرين في مواضعها، وآراء اللغويين في مظانها.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يحرث في أرض خصبة قلّت فيها الدراسات التطبيقية التي تلتمس الدلالة في رسم الكلمة القرآنية، فتمثّل هدف البحث في الإجابة عن سؤال رئيسي، هو:

- **هل تختلف دلالة الكلمة القرآنية إذا جاءت في موضعين مختلفين برسمين متباينين؟**

وللإجابة عن هذا السؤال انقسم البحث إلى مبحثين، أما الأول منهما فيستعرض كتابة الوحي ابتداءً بعهد النبي صلى الله عليه وسلم، وتكليفه ثلة من الصحابة الكرام بكتابة ما يتنزّل به جبريل عليه السلام، ثم جَمْعَ ما تفرّق من الصحائف بين لوحين في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم استنساخ مصاحف الأمصار عن ذلك المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه، ويعرض بإيجاز مواقف أبرز الدارسين من الظواهر الكتابية التي تفرّد بها الرسم العثماني في ثلاثة مسالك، هي: سوء الهجاء والبداوة، والتعليل اللغوي، والتكامل بين الرسم والمعنى، ويبيّن تأييد الباحث للمسلك الثالث.

وأما المبحث الثاني ففيه وقفات مع اثنتي عشرة كلمة، رُسم كلّ منها بصورتين مختلفتين، مرتبة على حروف المعجم بحسب الجذور، اختارها الباحث من ظواهر مختلفة في الرسم العثماني، تمثلت في سبع كلمات اختلف رسمها بين إثبات الألف وحذفها، كما في (ٱلرَّضَاعَةَ/ ٱلرَّضَـٰعَةَ)، وهي الظاهرة الأبرز في الرسم العثماني، وكلمتين اختلفتا في رسم الهمزة المتطرفة بين رسمها على السطر وعلى صورة الياء، كما في (إِيتَآءِ/ وَإِيتَآىِٕ)، وكلمتين اختلف رسمهما في ثلاثة أمور: حذف ألف وإثباتها، ورسم الهمزة المتطرفة على السطر وعلى صورة الواو، وزيادة ألف بعد الهمزة، كما في (ضُعَفَآءُ/ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟)، ومثال واحد على إبدال الألف الممدودة بألف مقصورة، وهو كلمة (طَغَىٰ/ طَغَا)، حاول الباحث التماس دلالات في الرسم توافق ما ذكره أهل التفسير، ولا تنأى بالكلمة عن المعاجم وما ارتضاه أهل اللغة.

ثم الخاتمة تلخص ما ذكر في المبحثين، وتستخلصأبرز المعاني التي تميّز بها رسم الهمزة على صورة الياء والواو في أربع كلمات، وتُحصي دلالات حذف الألف في سبع كلمات، وإبدال الألف الممدودة بالمقصورة في كلمة واحدة.

المبحث الأول

كتابة الوحي والرسم العثماني:

أنزل الله الكتاب قرآنًا عربيًا من أم الكتاب في اللوح المحفوظ أزلًا، وتعهّد بحفظه مكتوبًا مقروءًا أبدًا، فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، على عبده المبعوث في الأميين رسولًا منهم، فأنزل عليه الكتاب، ولم يكن يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، فعلّمه ما لم يكن يعلم، حتى غدا يتلو عليهم صحفًا مطهرة، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

وقد تآزرت آيات كريمة على وصف الذكر الحكيم بالكتاب والقرآن معًا في غير موضع، كقوله تعالى: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) [الحجر: ١]، و(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ) [النمل: ١]، (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [فصّلت: ٣]، (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾) [الواقعة: ٧٧-٨٠].

وغير خاف أن كتابة القرآن بدأت مع تنزّله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه عهد إلى فئة من أصحابه الكرام فشرّفهم بمهمة كتابة الوحي، وقد بلغ عددهم عند الحافظ العراقي[1] اثنين وأربعين كاتبًا، أشهرهم الخلفاء الأربعة، ومعاوية، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب (الصباغ، ١٩٩٠: ١٠٢)، ومن ذلك ما رواه البخاري: "عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله" قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادْعُ لِي زَيْدًا، وَلْيَجِئْ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالكَتِفِ، أَوِ الكَتِفِ وَالدَّوَاةِ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ "لا يستوي القاعدون ..."(البخاري، ١٩٨٧: ٦/٢٢٧).

وكان الصحابة يكتبونه على ما تيسر من ألواح ورقاع وأضلاع، ثم أمر أبو بكر زيدًا بجمعه بعد استشهاد كثير من القرّاء في موقعة اليمامة، يقول زيد رضي الله عنه: "فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ، وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ..." حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" (البخاري، ١٩٨٧: ٦/٢٢٦)، ثم عن هذه الصحف نسخ عثمان مصاحف الأمصار.

وانعقد إجماع الصحابة على الإعجاب بصنيع عثمان رضي الله عنهم أجمعين؛ فقد روى الداني بإسناده عن مصعب بن سعد قال: "أدركت الناس حين شقّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعب ذلك أحد" (الداني، د.ت: ١٨)، وتلقّت الأمة المصاحف العثمانية بالقبول، ونص جمهور العلماء على وجوب الالتزام بها؛ إذ نقل لنا أبو عمرو جواب الإمام مالك، فقال: "وسئل مالك رحمه الله: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلّا على الكتبة الأولى ... قال: أشهب: سئل مالك فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم أترى أن يُكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى. قال أبو عمرو: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة وبالله التوفيق" (الداني، د.ت: ١٩).

ظواهر الرسم العثماني وتوجيه الدارسين:

تفرّد الرسم القرآني في كلمات منه فخالفت الرسم القياسي في ظواهر حصرها العلماء في ستة أمور، هي: زيادة وحذف، وإبدال وهمز، وفصل ووصل، ونجم عن هذا التفرّد أن التمس العلماء والدارسون تعليل هذه الظواهر في ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: سوء الهجاء والبداوة:

ويبدو أن الفراء (٢٠٧هـ) أول من شرع في هذا المسلك؛ إذ علل زيادة الألف في (وَلَأَوْضَعُوا۟) و(لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ) وحذف الياء من (تُغْنِ) بسوء هجاء الأولين فقال: "وقوله: (وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ)... كتبت بلام ألف وألف بعد ذلك، ولم يكتب في القرآن لها نظير[2]. وذلك أنهم لا يكادونَ يستمرونَ في الكتاب عَلَى جهة واحدة، ألا ترى أنهم

كتبوا (فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ) بغير ياء، (وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ) بالياء، وهو من سوءَ هجاء الأوّلين ... وأمّا قوله: (أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ) فقد كتبت بالألف وبغير الألف. وقد كَانَ ينبغي للألف أن تُحذف من كله"(الفراء، ١٩٨٣: ١/ ٢٣٩).

ثم جاء من بعده ابن خلدون (٨٠٨هـ) فجعل إتقان الكتابة مرهونًا بالترقي في الصنائع والحضارة، ولأن العرب أهل بداوة كانت كتابتهم بعيدة عن أقيسة الصناعة، يقول: "فكان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التّوسّط لمكان العرب من البداوة والتوحّش وبعدهم عن الصّنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصّحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخطّ عند أهلها" (ابن خلدون، ١٩٨٨: ١/ ٥٢٦).

المسلك الثاني: التعليل اللغوي:

سلك كثير ممن صنفوا في رسم المصحف هذا المسلك، فرأوا في تاريخ الكتابة والعلل الصوتية والنطقية مسوغات لكثير من مظاهر الرسم كالحذف اختصارًا، أو استخفافًا، أو حمل الخط على الوصل، وكذلك كراهة توالي الأمثال، وعللوا الزيادة بالدلالة على الفصل، والتفريق، والتقوية، وإشباع الحركة، وعللوا أيضًا إبدال الألف واوًا بالتفخيم مرة، وبمراعاة الأصل اللغوي أخرى، وعللوا كذلك رسم الألف ياءً بتغليب الأصل ومراد الإمالة، وغير ذلك من العلل تجدها مبثوثة في كتاب (المقنع في رسم مصاحف الأمصار) لأبي عمرو الداني، وغيره من المصنفات الكثيرة التي أُفردت لهذا الغرض خدمة لكتاب الله، وممن سلك هذا النهج واختص به في زماننا هذا أ. د. غانم قدّوري الحمد، وله الكثير من المصنفات في هذا المجال، أبرزها (رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية)، و(الميسَّر في علم رسم المصحف وضبطه).

المسلك الثالث: التكامل بين الرسم والمعنى:

كانت التعليلات اللغوية السالفة هي الشائعة حتى عصر ابن البنَّاء المراكشي (٧٢١هـ)[٣] الذي اجتهد في تأمل الرسم القرآني، فصنّف (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل)، وخرج بنظرية هي أقرب إلى الصوفية؛ إذ ربط الهمزة وحروف المد واللين بمعانٍ كلية تتفرع عنها المعاني إلى مُدرَك وغير مُدرَك، والمدرَك إلى ظاهرٍ وباطن، وحاول في نظريته هذه تقديم تفسير دلالي لكثير مما خرج فيه الرسم عن القياس من حذف وزيادة وإبدال ووصل وفصل وغير ذلك، والجديد في مصنَّفه أنّه شقّ لمن بعده مسلكًا جديدًا يربط فيه بين الرسم والمعنى، يصيب فيه من أصاب، ويخطئ من أخطأ، ولكل مجتهد نصيب.

ويبدو أن ابن الجزري (٨٣٣هـ) لم يكن بمنأى عن هذا التوجّه؛ إذ لامسه من بعيد في قوله: "فهذا ما علمناه خرج من رسم الهمز عن القياس المطرد، وأكثره على قياس مشهور، وغالبه لمعنى مقصود، وإن لم يُرَد ظاهره فلا بد له من وجه مستقيم..." (ابن الجزري، ٢٠١٨: ٣/ ١٤٣١).

ثم سلك هذا المسلك من بعدُ الشيخ عبد العزيز الدباغ[٤] فيما يرويه عنه تلميذه ابن المبارك(١١٥٦هـ)[٥]؛ إذ يرى أن الرسم القرآني ينطوي على أسرار إلهية وأغراض نبوية لا تُدرَك إلا بالفتح الرباني، يقول: "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، ... وهو سر من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضًا معجز ... وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، إنما خفيت على الناس لأنها من الأسرار الباطنية التي لا تُدرَك إلا بالفتح الرباني" (ابن المبارك، ٢٠٠٢: ٨٧-٨٨).

وفي زماننا هذا تابع في هذا المسلك بعض المحدثين فقدّموا اجتهادات في هذا الباب لم تخل من نقد الناقدين (الحمد، ٢٠١٦: ٦٣-٧٣)، غير أنها خطوات على طريق قلّ سالكوه، ومنهم: الأستاذ محمد شملول في كتابه (إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة)، ود. سامح عبد الفتاح القليني في كتابه (الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن)، ود. حمدي الشيخ في كتابه (الإعجاز البياني في الرسم العثماني).

موقفنا من هذه الظواهر:

التدبر في كتاب الله عمومًا مطلب رباني، حثنا عليه الله فقال:

- (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ) [محمد: ٢٤].
- (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢].
- (لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: ٢١].

كيف لا وعجائب القرآن لا تنقضي؟ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه، والحث على التمسك به والتفكّر فيه، والغوص على لآلئه وعجائبه: "لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ"(الحاكم النيسابوري، ١٩٩٠: ١/ ٧٤١-٧٤٢).

ومن هذا المنطلق كان لنا وقفات مع كلمات قرآنية رسمت بصورتين مختلفتين، اجتهدنا في تعليلها بعد الاطلاع على أقوال المفسرين واللغويين، واستقراء السياق القرآني لكل صورة في موضعها، مسترشدين بقول ابن الجزري: "فهذا ما علمناه خرج من رسم الهمز عن القياس المطرد، وأكثره على قياس مشهور، وغالبه لمعنى مقصود، وإن لم يُرَد ظاهره فلا بد له من وجه مستقيم..." (ابن الجزري، ٢٠١٨: ٣/ ١٤٣١).

ولسنا نزعم أننا نضع نظرية تؤصّل الرسم وتجمع ظواهره، وإنما هي لَبِنات في صرح من الإعجاز القرآني،نسأل الله التوفيق والقبول.

المبحث الثاني

وفي هذا المبحث وقفات مع اثنتي عشرة كلمة، رُسم كلّ منها بصورتين مختلفتين، نحاول بتوفيق الله التماس دلالات في الرسم توافق ما ذكره أهل التفسير، ولا تنأى بالكلمة عن المعاجم وما ارتضاه أهل اللغة، وقد رتبناها على حروف المعجم بحسب الجذور.

١. إِيتَآء/ وَإِيتَآى:

وردَ اللفظ فِي القُرآن الكريم مجرورًا مرتين وبصورتين مختلفتين: إحداهما:رسمت الهمزة المتطرفة فيها على السطر، وذلك في قوله تعالى:

- رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [النور: ٣٧].

وبالعودة إلى كتب التفسير يتبين أن (الإيتاء) في الآية إنما هو إيتاء الزكاة المفروضة بشروطها للمستحقين بشروطهم، يقول ابن عباس رضي الله عنه في صفة الرجال المذكورين في الآية: "إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها" (البغوي، ١٩٩٧: ٦/ ٥١)، والملاحظ

أن رسم الكلمة جاء على القياس، والمعنى فيها على المعهود.
أما الثانية: فرُسمت الهمزة فيها على صورة الياء، وذلك في قوله تعالى:
- (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ) [النحل: ٩٠].
والمعنى فيها على صلة الرحم بالمال وغيره، يقول ابن عطية: "و(إيتاء ذي القُرْبى) لفظ يقتضي صلة الرحم، ويعمّ جميع إسداء الخير إلى القرابة، وتركُه مبهمًا أبلغ؛ لأن كل من وصل في ذلك إلى غاية وإن علت يرى أنه مقصّر، وهذا المعنى المأمور به في جانب ذي القُرْبى داخلٌ تحت (العدل والإحْسان)، لكنه تعالى خصّه بالذكر اهتمامًا به وحضًّا عليه" (ابن عطية، ٢٠٠١: ٤١٦/٣).
وإيتاء الزكاة لذوي القربي أوْلى وأعظم أجرًا؛ لأنها زكاة وصلة، يقول القرطبي: "وأمَر بإيتاء ذي القربى لقُرب رحمه، وخير الصدقة ما كان على القريب، وفيها صلة الرحم ... قال مجاهد وقتادة: صلة الرحم فرض من الله عز وجل، حتى قال مجاهد: لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجة" (القرطبي، ٢٠٠٦: ٤٣٥/١٦-٤٣٦).
ويرى الشوكاني أن في الآية تخصيصًا لذوي القربي بعد تعميم العدل والإحسان ترغيبًا في صلتهم والإنفاق عليهم، يقول: "وفي الآية إرشاد إلى صلة الأقارب وترغيب في التصدق عليهم، وهو من باب عطف الخاص على العام إن كان إعطاء الأقارب قد دخل تحت العدل والإحسان" (الشوكاني، ١٩٩٨: ٢٢٥/٣).
واللافت أنه لمّا كان في إيتاء ذي القربى خصوصية جاء رسم الكلمة كذلك له خصوصية فرُسمت الهمزة على صورة الياء، ولعل في ذلك تنبيهًا على صلة الأقارب، وتعضيدًا لتفقّد أحوالهم، وتعظيمًا لثواب التصدّق عليهم.
ولنا في الإشارة إلى اختلاف القراءات معين آخر في تأويل رسمها بالياء؛ إذ إنها تُعدّ من الرسم الإشاري، ففي الوقف على هذه الكلمة عند حمزة وه..شام عن ابن عامر، تسعة أوجه، ثلاثة منها بإبدال الهمزة ياء ساكنة، وواحد بياء مع روم الكسرة، فهذه أربعة أوجه على إبدال الهمزة ياء تتوافق مع الرسم، يقول الدمياطي: "ووقف حمزة وهشام بخُلْفه على (وَإِيتَآى) ونحوه مما رسم بياء بعد الألف بإبدال الهمزة الثانية ألفاً مع المد والقصر والتوسط، وبالتسهيل كالياء مع المد والقصر فهي خمسة، وإذا أبدلته ياء على الرسمي فالمد والتوسط والقصر مع سكون الياء، والقصر مع روم حركتها فتصير تسعة" (الدمياطيّ، ٢٠٠٦: ٣٥٣)، فهذه أربعة أوجه في الوقف عند اثنين من القراء السبعة تعضد الرسم بالياء ويعضدها.
والخلاصة أن (إيتاء الزكاة) عامّ جَرى رسم الهمزة فيه على الأصل، أما (إيتاء ذي القربى) فخاص؛ ولذا جاء رسم الهمزة فيه على غير المعهود؛ تمييزًا لخصوصية هذا الإيتاء عن ذاك، وإشارة في الوقت نفسه إلى أوجه الوقف بالياء عند حمزة وهشام من القراء السبعة، فتكامل الرسم واللفظ وتميّز المعنى، والله أعلم.

٢. دُعَآءُ/ دُعَؤُاْ:
ورد اللفظ في القرآن الكريم مرفوعًا مرتين وبصورتين مختلفتين:
إحداهما: رسمت الهمزة فيها على السطر، وذلك في قوله تعالى:
- (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)[الرعد: ١٤].
والدعاء في هذه الآية تذلل لغير الله؛ إذ يطلب الكافرون حوائجهم من أصنامهم وما يعبدون من دون الله، يقول الطبري: "قال الله تعالى: {وَمَا دُعَآءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ} هذا مثل ضربه الله، أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثنَ وهذا الحجر، لا يستجيب له بشيء أبدًا، ولا يسوق إليه خيرًا، ولا يدفع عنه سوءًا، حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه، ولا يبلغ فاه، ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشًا" (الطبري، ٢٠٠١: ٤٨٩/١٣).
فالآية الكريمة تبيّن أن الكافرين يتوجهون بالدعاء إلى مخلوقين لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا يدفعون ضرًا، وقد ذكر القرآن افتقارهم وضعفهم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر:١٣- ١٤].
أما الثانية: فرُسمت الهمزة فيها على صورة الواو مع حذف الألف قبلها وزيادة ألف بعدها، وذلك في قوله تعالى:
- وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].
والمختلف في هذه الآية عن تلك أن الدعاء هنا متوجه من الكافرين إلى الله عز وجل، ولكنه دعاء بعد فوات الأوان وهم في النار، يقول الزمخشري: "(أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ) إلزام للحجة وتوبيخ، وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرّع، وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات" (الزمخشري، ١٩٩٨: ٣٥٣/٥)، فدعاؤهم في ضلال، وله في القرآن نظائر، كقوله تعالى: (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾) [المؤمنون: ١٠٤-١٠٨]
وحاصل الدعاء في الآيتين أنه في ضلال؛ إذ الأول كان لغير الله ففاته القصد، والثاني كان في يوم الحساب ففاته الوقت، غير أن الأول -وهو دعاء آلهتهم من دون الله- رسمت همزته على السطر بعد ألف، والثاني -وهو دعاء الله- رسمت همزته على واو بين ألفين، ألف منطوقة غير مرسومة وألف مرسومة غير منطوقة، وفي ذلك تثقيل وتمييز لدعوة الحق (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [الرعد: ١٤]، كيف لا والدعاء عبادة؟ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠]، فتميّزت العبادة التي هي (دُعَؤُاْ) الحق برسمها عن العبادة التي هي (دُعَآءُ) الباطل.
وثمة تعليل آخر نجده في الرسم الإشاري، إذ إن حمزة وهشام من القراء السبعة يقفان على هذه الكلمة بالواو إسكانًا وإشمامًا ورَوْمًا في سبعة أوجه، يقول القاضي: "فيه لحمزة وهشام وقفًا اثنا عشر وجهًا، خمسة القياس ...، وسبعة على الرسم؛ لأن الهمزة فيه مرسومة على واو فتبدل واوًا مضمومة ثم تسكن للوقف، ويجري فيها الأوجه الثلاثة القصر والتوسط والمد مع السكون المحض، ومثلها مع الإشمام فتصير الأوجه ستة، والسابع روم حركتها مع القصر" (القاضي، د.ت: ٩١-٩٢)، فيتعاضد اللفظ والرسم ويتميّز المعنى كما رأينا.
والخلاصة أن الرسم القرآني ميّز بين نوعين من دعاء الكافرين؛

(دعاء الأصنام) في الدنيا رُسِم بإثبات الألف وهمزة على السطر، كما هو المعهود في المعنى والرسم، و(دعؤا الله) في الآخرة رُسِم بحذف الألف وهمزة على واو بعدها ألف، فمُيِّز بالرسم (دعؤا) الحق هذا عن (دعاء) الباطل ذاك، وكلاهما في المعنى خضوع وعبادة، والثاني يشير إلى أوجه في الوقف في بعض القراءات، فتوافق الرسم واللفظ مع خصوصية المعنى، والله أعلم.

٣. هَـٰذَانِ/ هُذُنِ -فَذُنِكَ:

وردت الإشارة إلى الاثنين في القرآن الكريم ثلاث مرات،وبرسمين مختلفين:

الرسم الأول: بإثبات الألفبعد الذال، وذلك في موضع واحد، وهو:

- هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ [الحج: ١٩].

والسياق في الآيةِ يتحدث عن فريقين مختلفين في المشارب والأهواء والغايات، بلغ اختلافهما حدّ التناقض والخصومة؛ ففي اللغة يقول ابن منظور: "وقيل للخصمين خصمان لأخْذ كلِّ واحد منهما في شقٍّ من الحجاج والدعوى" (ابن منظور، ١٤١٤هـ: خصم)، وفي التفسير يقول ابن عطية: "هُذَانِ خَصْمَانِ" والمعنى أن الإيمانَ وأهلَه والكفرَ وأهلَه خصمان مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب" (ابن عطية، ٢٠٠١: ٤/١١٤)، وجاء الرسم بإثبات الألف على الأصل اللغوي ليحقق التمايز بين الأفراد، فكيف إذا بلغ التمايز حدّ التناقض والخصام؟

الرسم الثاني: بحذف الألف، وذلك في موضعين، وهما:

- (قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ) [طه: ٦٣].
- (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) [القصص: ٣٢].

وردت الآية الأولىفي سياق الحديث عن موسى وهارون، وهما اثنان غير أنهما أخوان متفقان، بل نبيان شريكان برسالة واحدة، يشدّ أحدهما أزر الآخر تأييدًا وتعضيدًا، ألم يقل موسى عليه السلام مخاطبًا ربه: (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾) [طه: ٢٩-٣٥]؟ فبيّن لنا ما بينهما من وشائج الدم والدعم لحمل الرسالة وبلوغ الغاية، فكان الجواب: (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ) [طه: ٣٦]، وكان من توفيق الله لهما أن أدّيا الرسالة معًا، حتى خاطبهما فرعون كأنهما واحد: (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ) [طه: ٤٩]، وحريّ بهذا التوافق أن يزيل ما بينهما من حاجز التثنية، فتُلمح إشارة الرسم إلى دلالة النظم، والله أعلم.

أضف إلى ذلك أن في حذف الألف إشارة إلى ما تفرّد به أبو عمرو البصري؛ ذلك أن أبا عمرو دون غيره قرأها بالياء، يقول ابن الجزري: "واختلفوا في "هُذُنِ": فقرأ أبو عمرو (هذين) بالياء، وقرأ الباقون بالألف" (ابن الجزري، ٢٠١٨: ٤/٢٤٦٦)؛ ففي الحذف إشارة خفية إلى قراءة النصب بالياء، ولو ثبتت الألف لتعذرت قراءة أبي عمرو، وهو من السبعة، فجاء حذف الياء والألف ليجمع القراء على موافقة الرسم، كل بحسب ما تلقّى في سنده روايةً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والآية الثانية تتحدث عن معجزتين اثنتين، جعل العصا حية تسعى وخروج اليد بيضاء من غير سوء، أجراهما اللهعلى يد واحدة، هي يد موسى عليه السلام، يقول البيضاوي: "فَذُنِكَ" إشارة إلى العصا واليد" (البيضاوي، ١٩٩٨: ٤/١٧٧)،فالمعجزتان بيد واحدة، والغاية واحدة وهي البرهنة، والمصدر واحد وهو رب موسى، والهدف واحد وهو فرعون وملؤه.

وجاء إسقاط الألف في رسم "هُذُنِ" و"فَذُنِكَ" يلمح إلى ما بين موسى وهارون في الأولى من اتفاق واتساق، وإلى ما بين البرهانين في الثانية من تلاحم وتلاؤم؛ فإسقاط الألف كأنه إسقاط للحاجز، فبدا الحديث عنهما كأنهما واحد، كيف لا وقد رأينا ما بين موسى وهارون من توافق في المنشأ والمبدأ، ثم حمل الأمانة وتبليغ الرسالة؟ وكذلك ما بين البرهانين من اتحاد في الوسيلة والمصدر والغاية؟

والخلاصة أنه في سياق الاختلاف والاختصام جاء الرسم معبّرًا عن الافتراق بإثبات الألف وكأنها حاجز بين الفريقين؛ فقال "هُذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا"، وفي سياق الاتفاق والتلاؤم جاء الرسم معبّرًا عن الاتحاد بإسقاط الألف فقال: "هُذُنِ"، و"فَذُنِكَ"، والله أعلم.

٤. ٱلرَّضَاعَةَ/ ٱلرَّضَـٰعَة:

ورد اللفظ في القرآن الكريم مرتين،وبرسمين مختلفين:

أحدهما: بإثبات الألف، وذلك في قوله تعالى:

- (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) [البقرة: ٢٣٣].

وفي الآية مسائل توقف عندها المفسرون والفقهاء، منها:

- o نعت الحولين بالكمال لتوكيد المعنى ودفع المجاز من احتمالية أن يكون حولًا وبضعة أشهر، يقول الرازي: "وإنما ذكر الكمال لرفع التوهم من أنه على مثل قولهم أقام فلان بمكان كذا حولين أو شهرين، وإنما أقام حولًا وبعض الآخر" (الرازي، ١٩٨١: ٦/١٢٦).
- o تعليق الإتمام بإرادة أحد الوالدين دلّ على أن الإتمام غير واجب، وليس مقصودًا لذاته، وإنما لما يُبنى عليه من أحكام، ومنها:

١. الاحتكام إليه عند الاختلاف، فإن اتفق الأبوان على فطام الرضيع قبل الحولين فطماه، وإن اختلفا لم يفطماه قبل الحولين، يقول الرازي: "ليس المقصود من ذكر هذا التحديد إيجاب هذا المقدار، بل فيه وجوه: (الأول) وهو الأصح أن المقصود منه قطع التنازع بين الزوجين إذا تنازعا في مدة الرضاع، فقدّر الله ذلك بالحولين حتى يرجعا إليه عند وقوع التنازع بينهما"(الرازي، ١٩٨١: ٦/١٢٧)، وفي تمام الحولين مراعاة مصلحة الطفل؛ يقول ابن عاشور: "فأما بعد الحولين فليس في نمائه ما يصلح له الرضاع بعد، ولما كان خلاف الأبوين في مدة الرضاع لا ينشأ إلا عن اختلاف النظر في حاجة مزاج الطفل إلى زيادة الرضاع، جعل الله القول لمن دعا إلى الزيادة، احتياطًا لحفظ الطفل" (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٢/٤٣١).

٢. التحريم؛ فإن من شروط التحريم بالإرضاع أن يكون في الحولين، ولا تحريم إن كان الإرضاع بعد كمال الحولين، يقول الرازي: "المقصود من هذا التحديد هو أن للرضاع حكمًا خاصًا في الشريعة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» والمقصود من ذكر هذا التحديد بيان أن الارتضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم"(الرازي، ١٩٨١: ٦/١٢٧).

٣. النفقة والكسوة؛ إذ ليس على الأب نفقة الإرضاع بعد كمال الحولين، وليس للأم أن تطلب، يقول القرطبي: "ولكنه تحديد

لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع، فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين" (القرطبي، ٢٠٠٦: ٤/١٠٩).
وبتأمل ما سبق نجد أن الحديث يدور في فلك كمال الحولين وتمام الرضاعة فناسب أن تُرسم "ٱلرَّضَاعَةَ" تامة غير منقوصة.

وثانيهما: بحذف الألف، وذلك في قوله تعالى:
- (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ) [النساء: ٢٣]،
ومدار الحديث في الرضاعة هنا لدى الفقهاء والمفسرين حول شرطي التحريم بالرضاع، وهما: أقل الرضاع، وأن يكون في الحولين؛ فمنهم من اشترط خمس رضعات، ومنهم من اكتفى برضعة واحدة، يقول الرازي: "قال الشافعي رحمة الله عليه: الرضاع يحرم بشرط أن يكون خمس رضعات، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: الرضعة الواحدة كافية" (الرازي، ١٩٨١: ١٠/٣١)، وذهب القرطبي إلى التحريم بالمصة الواحدة فقال: "التحريم بالرضاع إنما يحصل إذا اتفق الإرضاع في الحولين، ... ولا فرق بين قليل الرضاع وكثيره عندنا إذا وصل إلى الأمعاء ولو مصة واحدة" (القرطبي، ٢٠٠٦: ٦/١٨٠)، وكذلك لخّص ابن عاشور المسألة بقوله: وأما مقدار الرضاع الذي يحصل به التحريم، فهو ما يصدق عليه اسم الرّضاع وهو ما وصل إلى جوف الرضيع في الحولين ولو مصة واحدة عند أغلب الفقهاء"(ابن عاشور، ١٩٨٤: ٤/٢٩٧).
والمستفاد من أقوال المفسرين والفقهاء على اختلافهم أن المقصود في الآية هو الحد الأدنى من الرّضاع الموجب للتحريم، واللافت هنا أن كلمة "ٱلرَّضَٰعَةَ" هنا رُسمت بحذف الألف، وفي هذا انسجام وتناسب بين رسم الكلمة ودلالتها في السياق.
وخلاصة الأمر أنه ثمة تكامل وتناسب عجيب بين رسم الكلمة ودلالتها في الموضعين، فلما كان السياق يتحدث عن الحد الأعلى من الرضاع وما ينبني عليه من أحكام رُسمت "ٱلرَّضَاعَةَ" تامة غير منقوصة، وحين كان الحديث عن الحد الأدنى من الرضاع وما ينبني عليه من تحريم رُسمت "ٱلرَّضَٰعَةَ" منقوصة غير تامة، فكانت (الألف) إثباتًا وحذفًا توحي بأكثر الرضاع وأقله، فتؤدي تفسيرًا مرئيًا ينسجم مع دلالة السياق في الموضعين، ولا يخرج عن المعنى المعجمي للكلمة.

٥. رَاغِبٌ/ رُغِبُونَ:
ورد اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات،وبرسمين مختلفين:

الرسم الأول: ورد بإثبات ألف (رَاغب) في قوله تعالى:
- (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) [مريم: ٤٦].
والآية الكريمة تتحدث عن إعراض إبراهيم عليه السلام عن عبادة الأصنام، وجاءت الرغبة في الآية متعدية بـ(عن) لتؤدي هذا المعنى، يقول الشوكاني: (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) والاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب، والمعنى: أمعرض أنت عن ذلك ومنصرف إلى غيره؟" (الشوكاني، ١٩٩٨: ٣/٣٩٧)، وإلى مثل ذلك ذهب ابن عاشور بقوله: "والاستفهام للإنكار إنكارًا لتجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم"(ابن عاشور، ١٩٨٤: ١٦/١١٨).

الرسم الثاني: ورد بحذف ألف (رُغِبُونَ) في موضعين، هما:
- (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) [التوبة: ٥٩]
- (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ) [القلم: ٣١-٣٢]
وفي الآيتين جاءت (الرغبة) متعدية بـ(إلى) تعبيرًا عن الالتجاء إلى الله والإنابة إليه:
ففي الأولى يقول الرازي: "إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ" فنحن لا نطلب من الإيمان والطاعة أخذ الأموال والفوز بالمناصب في الدنيا، وإنما المراد إما اكتساب سعادات الآخرة، وإما الاستغراق في العبودية على ما دل لفظ الآية عليه فإنه قال: "إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رُغِبُونَ"، ولم يقل: إنا إلى ثواب الله راغبون" (الرازي، ١٩٨١: ١٦/١٠٢)، ولابن كثير ملمح دقيق في الآية؛ إذ يستنبط منها توحيد الله في التوكل عليه والرغبة إليه، يقول: "فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبًا عظيمًا وسرًا شريفًا، حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله، والتوكلَ على الله وحده، وهو قوله: "وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ"، وكذلك الرغبة إلى الله وحده" (ابن كثير، ١٩٩٩: ٤/١٦٤)، وإلى مثل ذلك ذهب أبو حيان فقال: "ثم أتى رابعًا بالجملة المقتضية الالتجاء إلى الله لا إلى غيره، والرغبة إليه، فلا يطلب بالإيمان أخذ الأموال والرئاسة في الدنيا" (أبو حيان، ١٩٩٣: ٥/٥٨).
وفي الآية الثانية إعلان توبة أصحاب الجنة الذين حرَموا المساكين عطاءهم فأنابوا إلى الله لمّا رأوا عاقبة فعلهم، يقول الشوكاني: "إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رُغِبُونَ" أي: طالبون منه الخير، راجون لعفوه، راَجعون إليه. وعُدِّي بـ(إلى) -وهو إنما يتعدى بـ(عن) أو (في)- لتضمينه معنى الرجوع" (الشوكاني، ١٩٩٨: ٥/٣٢٦)، وإلى مثل ذلك ذهب ابن عاشور بقوله: "أي استفاقوا من غفلتهم، ورجعوا على أنفسهم باللائمة على بطرهم وإهمال شكر النعمة التي سيقت إليهم، وعلموا أنهم أخذوا بسبب ذلك" (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٢٩/٨٥).
وبتأمل الرسمين ودلالة الآيات نجد أن إثبات الألف في (رَاغب) تَرَافق مع تعدية الرغبة بـ(عن) وما ذهبت إلى من معنى التَّأبّي والإعراض عن الانصياع لعبادة الأصنام، أما حذف الألف في (رُغِبُونَ) فقد تَرَافق مع تعدية الرغبة بـ(إلى) وما دلّت عليه من معنى العبودية لله وحده، والانكسار له، والإنابة إليه، فكأن (الألف) مع (الأصنام) انتصبت متأبية الخضوع بأنفة وكبرياء، أما مع (الله) جل جلاله فخلّت مكانها تذلّلًا وخضوعًا وانكسارًا بين يديه سبحانه وتعالى، والله أعلم.

٦. صَادِق/ صُدِقُونَ:
ورد اللفظ في القرآن الكريم ستين مرة، وبرسمين مختلفين:
الرسم الأول: بإثبات الألف وصيغة المفرد ثلاث مرات: (صَادِقَ، صَادِقًا، لَصَادِقٌ)، في قوله تعالى:
- (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) [مَريم: ٥٤]
- (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) [غافر: ٢٨]
- (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) [الذاريات: ٥]
واللافت للنظر في الآيات الثلاث أنها تخصّ الصدق بالوعد، وما من شك في أن الوعد قول وزيادة، والصدق فيه صدق في القول وصدق في الوعد:
ففي الأولى الثناء على سيدنا إسماعيل بأنه صادق الوعد، وأعظمُ وعدٍ صدَقَه وعدُه أباه إبراهيم -عليهما السلام- بالصبر على الذبح، يقول البيضاوي: "ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تُعهد من غيره، وناهيك أنه وعد الصبر

على الذبح فقال: (سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) فوفى" (البيضاوي، ١٩٩٨: ٤/١٣).

وفي الثانية يبيّن مؤمن آل فرعون أن موسى عليه السلام وعدهم خيرًا إن آمنوا، وشرًا إن كفروا، يقول أبو حيان في معنى (يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ) : "يصبكم القسم الواحد مما يعِدُ به، وذلك هو بعض مما يعِد؛ لأنه عليه السلام وعدهم إن آمنوا بالنعمة، وإن كفروا بالنقمة. وقالت فرقة: (بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ) عذاب الدنيا؛ لأنه بعض عذاب الآخرة، ويصيرون بعد ذلك إلى النار" (أبو حيان، ١٩٩٣: ٧/٤٤٢).

وفي الثالثة صدق الوعد والوعيد، يقول البغوي: "إنما توعدون، من الثواب والعقاب، لصادق" (البغوي، ١٩٩٧: ٧/٣٧١). ويقول ابن عطية: "و(تُوعَدُونَ) يحتمل أن يكون من الإيعاد، ويحتمل أن يكون من الوعد، وأيها كان فالوصف له بالصدق صحيح، و(صادق) هنا موضوعٌ بدل صدق، ووضع الاسم موضع المصدر" (ابن عطية، ٢٠٠١: ٥/١٧٢).

والرسم الثاني: بحذف الألف وصيغة الجمع تذكيرًا وتأنيثًا ورد سبعًا وخمسين مرة، وهي: ٱلصَّـٰدِقُونَ (٢)، ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٧)، صَـٰدِقِينَ (٣١)، لَصَـٰدِقُونَ (٤)، وَٱلصَّـٰدِقَـٰت (١)، وَٱلصَّـٰدِقِينَ (٢). وبتأمّل الآيات التي رُسمت فيها الكلمة بحذف الألف نجد أنها جاءت مقرونة بصدق الحديث ذكرًا أو تقديرًا؛ فمما ذُكر فيه الصدق مقرونًا بالقول قوله تعالى:

- (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) [النمل: ٤٩].
- (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) [الطور: ٣٣-٣٤].
- (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ١١١].
- (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران: ١٨٣].

ومما ورد القول فيها تقديرًا وتفسيرًا قوله تعالى:

- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحجرات: ١٥].

فإن كلمة الإيمان يقولها المؤمن والمنافق، وإنما بالجهاد يُعلم الصادق من الكاذب، يقول الطبري نقلًا عن ابن زيد: "أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ)صدقوا إيمانهم بأعمالهم؛ فمن قال منهم: أنا مؤمن فقد صدق؛ قال: وأما من انتحل الإيمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب، وليس بصادق" (الطبري، ٢٠٠١: ٢١/٣٩٠).

- (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر: ٨].

وكالذي قاله الطبري في تلك يقوله في هذه؛ إذ ليس كل من قال آمنت صدق، إذ لا بد من أعمال تصدق الأقوال، يقول: "أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ" يقول: هؤلاء الذين وصَف صفتَهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون" (الطبري، ٢٠٠١: ٢٢/٥٢٤)؛ فالقول لم يذكر صراحة مع الصدق في مثل هذه الآيات، وإنّما الصدق منصرف فيها إلى القول تقديرًا وتفسيرًا.

وثمة آيات ورد فيها ذكر (ٱلصَّـٰدِقِينَ) وذكر الوعد، كقوله تعالى: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف: ٧٠]، و[هود: ٣٢]، و[الأحقاف: ٢٢]، غير أن الصدقَ في أمثال هذه الآيات منصرف إلى الحديث لا إلى الوعد، من ذلك ما جرى من حوارٍ بين سيدنا هود عليه السلام وقومه إذ قال لهم: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [الأعراف: ٦٥] يقول الرازي: "فقوله: (أَفَلَا تَتَّقُونَ)مشعر بالتهديد والتخويف بالوعيد؛ فلهذا المعنى قالوا: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يعتقدون كونه كاذبًا بدليل قولهم: (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ) (الرازي، ١٩٨١: ١٤/١٦٥).

والحق أنَّ الوعد والوعيد من الله، وما على الرسول إلا البلاغ، وليس على الرسول أن يفي بوعد الله إثباتًا لصدق إبلاغه، يقول ابن عطية في الآية: "المعنى قال لهم هود: إن هذا الوعيد ليس من قِبَلي، وإنما الأمر إلى الله، وعلم وقته عنده، وإنما عليّ أن أبلغ فقط" (ابن عطية، ٢٠٠١: ٥/١٠٢).

والخلاصة أن كلمة (صَادِق) بإثبات الألف جاءت مفردة في القرآن الكريم ثلاث مرات ومرتبطة بالوعد، فعبّرت عن معنيين: صدق القول وصدق الوعد معًا، أما (صُدِقُونَ) بحذف الألف فقد وردت بصيغة الجمع تذكيرًا وتأنيثًا بالرفع والنصب والجر سبعًا وخمسين مرة، دالة على المعهود من صدق الحديث تصريحًا أو تأويلًا، فكأن إثبات الألف جاء لمزيد معنى، وحذفها دلّ على الأصل من غير زيادة، والله أعلم.

٧. أَضْعَافًا/ أَضْعَـٰفًا:

ورد اللفظ في القرآن الكريم مرتين، وبرسمين مختلفين:

أحدهما: بإثبات الألف، وذلك في قوله تعالى:

- (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) [البقرة: ٢٤٥].

وسياق الآية يحث على الإنفاق في سبيل الله، ويعد على ذلك بمضاعفة الأجر أضعافًا كثيرة، يقول البغوي: "(أَضْعَافًا كَثِيرَةً) قال السدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقيل: سبع مئة ضعف" (البغوي، ١٩٩٧: ١/٢٩٥).

وثانيهما: بحذف الألف، وذلك في قوله تعالى:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَـٰفًا مُضَاعَفَةً) [آل عمران: ١٣٠].

وسياق الآية في النهي عن منكر عظيم كانوا يفعلونه في جاهليتهم، ينقل الطبري عن ابن زيد قوله: "إنما كان الرّبا في الجاهلية في التضعيف وفي السّنّ، يكون للرجل فضلُ دين، فيأتيه إذا حلّ الأجل، فيقول له: تقضي أو تُربي؟ فإن كان عنده شيء يقضيه قضى، وإلا حوّله إلى السنّ التي فوق ذلك، إن كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون في السنة الثانية، ثم حِقّة، ثم جذعة ثم رَباعيًّا، ثم هكذا إلى فوق. وفي العَيْن يأتيه فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل، فإن لم يكن عنده أضعَفه أيضًا، تكون مئة فيجعلها إلى قابل مئتين، فإن لم يكن عنده جعلها أربع مئة، يضعفها له كل سنة أو يَقْضيه" (الطبري، ٢٠٠١: ٦/٥٠-٥١)، وقد توعّد الله من يفعلها بالحرب فقال: (وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

والخلاصة أن "أَضْعَـٰفًا" بحذف الألف جاءت في أكل الربا، وهو إثم كبير، والزيادة فيه نقص ومحق، فناسب المعصيةَ نقصُ الكلمة، أما "أَضْعَافًا" بإثبات الألف فقد جاءت في ثواب الصدقة، والزيادة فيها بركة من الله ونماء، فناسب الطاعةَ تمامُ الكلمة، فكان في حذف الألف وإثباتها تناغم عجيب مع قوله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) [البقرة: ٢٧٦]، هذا، والله أعلم.

٨. ضُعَفَآءُ/ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ:
ورد اللفظ في القرآن الكريم أربع مرات، وبرسمين مختلفين:

الرسم الأول: بإثبات الألف، وذلك في موضعين، وهما:
- (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) [البقرة: ٢٦٦].
- (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: ٩١].

والآية الأولى تتحدث عن عمل المنافق الذي يُتبع إنفاقَه منًّا وأذى مشبِّهةً إياه برجل مسنّ له جنة فيها من كل الثمرات، يعتمد عليها في رزقه ورزق عياله الصغار، فكيف يكون حاله إذا احترقت؟ يقول الرازي: "المعنى أن ذلك الإنسان كان في غاية الضعف والحاجة إلى تلك الجنة بسبب الشيخوخة والكبر، وله ذرية في غاية الضعف والحاجة بسبب الطفولية والصغر، ثم قال تعالى: فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت... والمقصود من هذا المثل بيان أنه يحصل في قلب هذا الإنسان من الغم والمحنة والحسرة والحيرة ما لا يعلمه إلا الله، فكذلك من أتى بالأعمال الحسنة، إلا أنه لا يقصد بها وجه الله" (الرازي، ١٩٨١: ٧/٦٤).

ومرادنا من الآية معنى الطفولية والصغر في قوله تعالى: (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ) الذي يؤكده البغوي فيقول: "أولاد صغار ضعاف عجزة" (البغوي، ١٩٩٧: ١/٣٢٩).

والآية الثانية تتحدث عن أصحاب الأعذار الحقيقية في القعود عن الجهاد فبيّن أقسامهم، يقول الرازي: "القسم الأول: الصحيح في بدنه، الضعيف مثل الشيوخ. ومن خُلق في أصل الفطرة ضعيفًا نحيفًا، وهؤلاء هم المرادون بالضعفاء. والدليل عليه: أنه عطف عليهم المرضى، والمعطوف مباين للمعطوف عليه..." (الرازي، ١٩٨١: ١٦/١٦٣).

فحاصل الآيتين أن (ٱلضُّعَفَآء) بإثبات الألف يُقصد بها الضعف البدني في الأطفال والشيوخ ومن خُلِق في أصل الفطرة ضعيفًا نحيفًا.

الرسم الثاني: بحذف الألف، ورسم الهمزة على واو بعدها ألف، وذلك في موضعين، وهما:
- (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) [إبراهيم: ٢١].
- (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ) [غافر: ٤٧].

و(ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ) في الآيتين ذكرت مقابل (الذين استكبروا)، ويصرّحون بأنهم كانوا تابعين للمستكبرين، يقتدون بهم ويأتمرون بأمرهم، يقول الزمخشري: "و(الضعفاء): الأتباع والعوام. و(الذين استكبروا): ساداتهم وكبراؤهم" (الزمخشري، ١٩٩٨: ٣/٣٧٢)، ويقول ابن عطية: "و(الضعفاء) يريد في القدر والمنزلة في الدنيا. و(الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) هم أشراف الكفار وكبراؤهم" (ابن عطية، ٢٠٠١: ٤/٥٦٣)؛ فضعف هؤلاء إنّما هو في المكانة الاجتماعية، وليس في البنية الجسدية؛ فاختلف الرسم لاختلاف المعنى، والله أعلم.

وثمة تعليل آخر نلتمسه في الرسم الإشاري، إذ إن حمزة وهشام من القراء السبعة يقفان على هذه الكلمة بالواو في سبعة أوجه، يقول القاضي: "فيه لحمزة وهشام وقفًا اثنا عشر وجهًا، خمسة القياس ...، وسبعة على الرسم؛ لأن الهمزة فيه مرسومة على واو فتُبدل واوًا مضمومة ثم تسكن للوقف، ويجري فيها الأوجه الثلاثة القصر والتوسط والمد مع السكون المحض، ومثلها مع الإشمام فتصير الأوجه ستة، والسابع روم حركتها مع القصر" (القاضي، د.ت: ٩١-٩٢)، فيتكامل اللفظ والرسم ويختلف المعنى كما رأينا.

وخلاصة الأمر أن الرسم القرآني ميّز بين نوعين من الضعفاء؛ فلما كان الضعف في القوة البدنية رُسمت الكلمة بإثبات الألف والهمزة على السطر(الضُعَفَاءُ)، كما هو المعهود في المعنى والرسم، ولما كان الضعف في المكانة الاجتماعية رُسمت الكلمة بحذف الألف والهمزة على واو بعدها ألف (ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ)، فميّز هؤلاء عن أولئك، وكلاهما في المعنى العام ضعف، غير أن الثاني يشير إلى أوجه في الوقف في بعض القراءات، فيتناغم الرسم واللفظ مع خصوصية المعنى، والله أعلم.

٩. إِطْعَامٌ/ إِطْعَـٰمٌ:
وردَ اللفظ فِي القرآن الكريم ثلاث مرات،وبرسمين مختلفين:
الرسم الأول: بإثبات الألف، وذلك في موضعين، وهما:
- (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) [المائدة: ٨٩].
- وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ۖ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) [المجادلة: ٣-٤].

والإطعام في الآيتين ورد في سياق الكفارة، والكفارة ستر وتغطية لإثم، يقول الراغب "والكفارة: ما يغطي الإثم، ومنه: كفارة اليمين نحو قوله:(ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) [المائدة: ٨٩]، وكذلك كفارة غيره من الآثام، ككفارة القتل والظهار...، والتكفير: ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يُعمل" (الراغب، ١٤١٢هـ: كفر).

وكفارة الحنث باليمين أمر واجب، وتاركها آثم، يقول الرازي: "واعلم أن الآية دالة على أن الواجب في كفارة اليمين أحد الأمور الثلاثة على التخيير، فإن عجز عنها جميعًا فالواجب شيء آخر، وهو الصوم" (الرازي، ١٩٨١: ١٢/٧٩).

والرسم الثاني: بحذف الألف، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى:
-(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾) [البلد: ١٢-١٧].

والإطعام في هذه الآية إنما هو من أعمال البر التي يجاهد بها العبد نفسه وشيطانه طاعة لربه وتقرّبًا، يقول الرازي في تفسير العقبة: "ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر"(الرازي، ١٩٨١: ٣٢/١٨٥)، ويذهب السمين الحلبي إلى أن الإطعام هنا صدقة من الصدقات فيرى أن: "قوله (ثُمَّ كَانَ) لتراخي الإيمان وتباعُده في الرتبة والفضيلة عن العتْق والصدقة، لا في الوقت؛ لأنَّ الإيمانَ هو السَّابقُ ولا يَثْبُتُ عَمَلٌ إلَّا بهَ" (السمين الحلبي، د.ت: ١١/١٠)، فالإطعام هنا من قبيل البرّ والصدقات، وليس واجبًا يأثم تاركه.

وإذن فإن الرسم القرآني أجرى (إِطْعَام) الكفارة، وهو واجب، أجراه على الأصل بإثبات الألف، وميّز (إِطْعَـٰمٌ) الصدقة، وهو من فضائل الأعمال، بحذف الألف، وكلاهما إطعام، غير أن الأول تاركه آثم بخلاف الثاني، فدلّ اختلاف الرسم على خصوصية المعنى في اللفظ الواحد، والله أعلم.

وثمة أمر آخر يتعلق برسم (إِطْعَـٰمٌ) محذوفة الألف، وهو الإشارة إلى قراءة أخرى غير التي نعهدها في قراءة عاصم أو نافع، وهي قراءة كل من ابن كثير وأبي عمرو والكسائي بفتح الهمزة والميم فعلًا ماضيًا، يقول ابن الجزري: "واختلفوا في (فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَـٰمٌ) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (فَكَّ) بفتح الكاف (رَقَبَةً) بالنصب (أَوْ أَطْعَمَ) بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها. وقرأ الباقون برفع (فَكُّ) وخفض (رَقَبَةٍ)، (إِطْعَـٰمٌ) بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها" (ابن الجزري، ٢٠١٨: ٤/٢٧٣٢).

ويكون المعنى بهذه القراءة على الاستفهام، يقول السمرقندي: "فمن قرأ بالنصب فهو محمول على المعنى، معناه فلا فَكَّ رَقَبَةً، ولا أطعمَ في يوم ذي مسغبة، فكيف يجاوز العقبة؟" (السمرقندي، ١٩٩٣: ٣/٤٨١).

والخلاصة أن الرسم القرآني ميّز بين نوعين من (الإطعام)؛ (إِطْعَام) واجبٌ في كفارات اليمين والظهار، رُسِم بإثبات الألف، و(إِطْعَـٰمٌ) بالحذف، مسنونٌ من فضائل الأعمال، يُثاب فاعله، ولا يأثم تاركه، فكان حذف الألف علامة فارقة بين المعنيين بما لا يخرج عن المعنى العام للإطعام، وإشارة في الوقت نفسه إلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي بفتح الهمزة والميم فعلًا ماضيًا، وبهذا يكون ثمة تكامل بين الرسم واللفظ والمعنى.

١٠. طَغَىٰ/ طَغَا:

ورد الفعل في القرآن الكريم ست مرات، وبرسمين مختلفين:

الرسم الأول: بألف مقصورة، وذلك في خمسة مواضع، وهي:
- (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) [طه: ٢٤].
- (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) [طه: ٤٣].
- (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ) [النجم: ١٧].
- (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) [النازعات: ١٧].
- (فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) [النازعات: ٣٧-٣٩].

والطغيان عمومًا تجاوز الحدّ، يقول السمين الحلبي: "أصل الطغيان مجاوزة الحد في كل شيء، وغلب في تزايد العصيان" (السمين الحلبي، ١٩٩٦: طغو)، غير أن الراغب يرى أنه في العصيان خاصة، فيقول: "طغوت وطغيت طغوانًا وطغيانًا، وأطغاه كذا: حمله على الطغيان، وذلك تجاوز الحد في العصيان. قال تعالى: (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) (الراغب، ١٤١٢هـ: طغى)، وإلى مثل ذلك يذهب الرازي فيقول إنه "الغلو في الكفر ومجاوزة الحدّ في العتو" (الرازي، ١٩٨١: ٢/٧٩).

وقول السمين أشمل، والأخذ به في الآيات أنسب؛ إذ إنّ بعضها يعبّر عن تجاوز الحد في المعصية، كطغيان فرعون وغيره، يقول السمرقندي: "(اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) يعني علا وتكبر وكفر" (السمرقندي، ١٩٩٣: ٣/٤٤٤)، وفي طغيان غيره يقول: "(فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ) يعني كفر وعلا وتكبر"(السمرقندي، ١٩٩٣: ٣/٤٤٥)، وبعضها يعبّر عن مجاوزة الحدّ وليس ثمة معصية، كقوله تعالى: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ) [النجم: ١٧]، يقول السمرقندي: "يعني: ما مال، وما عدل بصر محمد صلّى الله عليه وسلم عما رأى (وَما طَغى) وما تعدّى، وما جاوز إلى غيره" (السمرقندي، ١٩٩٣: ٣/٢٩٠)، وكذلك يقول السمين: "(وَمَا طَغَىٰ) أي لم يتجاوز حدّه وقصده" (السمين الحلبي، ١٩٩٦: طغو).

والرسم الثاني: بألف ممدودة، وذلك في موضع واحد، وهو:
- (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) [الحاقة: ١١]

يستشهد السمين الحلبي بالآية على ما ذهب إليه من عموم المعنى في مجاوزة الحدّ بقوله: " قال تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) أي تزايدَ على حدّه"(السمين الحلبي، ١٩٩٦: طغو)، أمّا الراغب فيعلل خروجها عن معنى العصيان الذي ذهب إليه بأنها استعارة، فيقول: "وقوله: (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) فاستعير الطغيان فيه لتجاوز الماء الحدّ" (الراغب، ١٤١٢: طغى).

وبأي الرأيين أخذنا نجد أن طغيان الماء ليس فيه معصية، بل هو على التحقيق طاعة، وأنّى له أن يطغى من تلقاء نفسه؟ ألم يكن طغيانه امتثالًا لأمر الله حين استجاب دعوة نوح عليه السلام بقوله:(فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾)[القمر: ١٠- ١٢].

وشتّان ما بين طغيان الماء طاعة وانصياعًا لأمر الله، وطغيان فرعون استكبارًا وكفرًا بالله، ومن لطائف الرسم القرآني أن يُحاكي عاقبة الطاعة رفعًا، وعاقبة الاستكبار خفضًا، فلما عبّر عن طاعة الماء قال (طَغَا)، ولمّا عبّر عن استكبار فرعون قال (طَغَىٰ)، وكأن في الألف ممدودةً عِزَّ الطاعة، وفي الألف مقصورةً ذُلَّ المعصية.

ولا يبعد - من وجه آخر - أن يكون ارتفاع الألف ممدودةً في (طَغَا الْمَاءُ) مشاكلةً حسيةً، واستحضارًا إيحائيًا لارتفاع الموج كالجبال موافقة لقوله تعالى: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) [هود: ٤٢]، والله أعلم.

١١. ٱلْأَلْوَاح/ أَلْوُح:

ورد اللفظ في القرآن الكريم أربع مرات،وبرسمين مختلفين:

الرسم الأول: بإثبات الألف، وذلك في ثلاثة مواضع، وهي:
- (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ) [الأعراف: ١٤٥].
- (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) [الأعراف: ١٥٠].
- (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)[الأعراف: ١٥٤].

واللافت أن ثلاث الآيات تتحدث عن ألواح موسى عليه السلام، وقد ذكر القرآن الكريم أن الله آتى موسى عليه السلام التوراة مكتوبة في ألواح، والألواح في اللغة جمع لوح، وهو كل ما انبسط مع رقّة من خشب وغيره، جاء في تاج العروس: "(اللَّوْح: كلُّ صَفيحةٍ عَرِيضةٍ، خَشَبًا أو عَظْمًا)، وَمثله في (المُحكم) و (التَّهْذِيب)... (و) اللَّوْح: (الكَتِف إذا كُتِبَ عَلَيْهَا)" (الزَّبيدي، ١٤١٤هـ: لوح).

هذا، وقد تعددت الأقوال في نوع الألواح التي كتبت فيها التوراة؛ فقد "قال الحسن: كانت الألواح من خشب. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء. وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. قال ابن جريج: كانت من زمرد،..." (البغوي، ١٩٩٧: ٣/٢٨١).

والمهم في هذه الألواح أنها تحمل أمرًا جللًا ألا وهو موعظة الله إلى موسى وقومه؛ وصريح النص يقول:(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ)، فالكاتب هو الله جلّ جلاله، والمكتوب له رسول من أولي العزم عليهم صلوات الله، والمكتوب

موعظة الله وتفصيل لكل شيء، والمكتوب فيه هو هذه الألواح التي اكتست ثوب القدسية من الموعظة الإلهية المنقوشة فيها، ومن كاتبها، فكيف يليق بهذا الكمال وهذا الجلال أن يُعبَّر عن حامله (الألواح) بنقص شيء من أحرفه؟!

الرسم الثاني: بحذف الألف، وذلك في موضع واحد، وهو:
- (وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ) [القمر: ١٣-١٤].

والألواح في هذه الآية لا تتعدى المعنى اللغوي السابق، وهي ألواح السفينة التي صنعها نوح عليه السلام، غير أنها كتبت بحذف ألفها، والتأمّل في سياق الآية الكريمة يكشف عن تهوين أمر هذه السفينة، فلم يسمّها سفينة أو فلكًا، ولا نسب إليها خطرًا ولا فضلًا، بل ما هي إلا بضعة ألواح ودسر، يحملهم ويحملها ذو الجلال، ويجريها بعنايته في موج كالجبال، وما هي إلا صورة ظاهرة لقدرة الله القاهرة، فأين هذه الألواح التي تُداس بالأقدام من تلك التي تُرفع في أعلى مقام؟، فلما هان أمرها وقلّ خطرها نقصت حروفها، فرُسمت (أَلْوُح) بحذف الألف، فتناغم الرسم والمقام في هذه وتلك، التمام لألواحٍ علوية تحمل القداسة، والنقص لألواح أرضية لا يخلو حِمْلُها من نجاسة، هذا، والله أعلم.

١٢. وَرَآء/ وَرَآى:

ورد اللفظ في القرآن الكريم مكسور الهمزة خمس مرات،وبرسمين مختلفين:

الرسم الأول: الهمزة فيه على السطر، وذلك في أربعة مواضع، وهي:
- (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [الحجرات: ٤].
- (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) [الحشر: ١٤].
- (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) [هود: ٧١].
- (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) [الأحزاب: ٥٣].

يدل لفظ (وراء) في اللغة عمومًا على ما يُستَتر به، وقد يكون خلفك وهو الغالب، وربما كان أمامك وهو قليل، يقول الراغب: "(وراء): إذا قيل: وراء زيد كذا؛ فإنه يقال لمن خلفه، نحو قوله تعالى: (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)...، ويقال لما كان قُدَّامه نحو: (وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ)، وقوله: (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ)، فإن ذلك يقال في أي جانب من الجدار، فهو وراءه باعتبار الذي في الجانب الآخر" (الراغب، ١٤١٢: ورى).

والذي يعنينا في الآيات أعلاه أنها جاءت بمعنى خلف، وفي كلّ منها ساتر ومستور، فالساتر هو على التوالي (ٱلۡحُجُرَٰت/ جُدُر/ إِسۡحَٰق/ حِجَاب)، والمستور هو (ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ/ ضمير الفاعل فِي يُقَٰتِلُونَكُمۡ/ يَعۡقُوب/ ضمير المفعول في فَسۡـَٔلُوهُنَّ)، فلا غرابة في التركيب، والمعنى على ما هو معهود، والرسم على ما هو مألوف.

الرسم الثاني: الهمزة فيه على صورة الياء، وذلك في موضع واحد، وهو:
- (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) [الشورى: ٥١].

من اللطائف القرآنية أن يأتي تركيب (من وراء حجاب) في القرآن مرتين، إحداهما هذه الآية الكريمة وقد رُسمت الهمزة فيها على صورة الياء، والثانية: رُسمت الهمزة فيها على السطر، وقد مرّت أعلاه في قوله تعالى: (إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)[الأحزاب: ٥٣].

ولنا أن نلتمس علة اختلاف الرسم في (وَرَآءٍ) من وجهي المعنوالأداء:

ففي الأول: نلحظ أن (الحجاب) في هذه الآية غير (الحجاب) في تلك، ففي قوله تعالى: (فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ) الحجابُ ستارٌ أو بابٌ، والمحجوبُ أمهاتُ المؤمنين، وكلاهما مرئي يدرك بالْحِسِّ، أما في قوله (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآى حِجَابٍ) فالحجاب حاجبٌ ومحجوبٌ معًا، والله جل جلاله لَا تدركهُ الأبصار، وليس كمثله شيء، فأنّى للرسم أن يسوّي بين الحجابين؛ الحجاب الأرضي الذي تدركه العين واليد من الفاجر والبَرّ، والحجاب العلوي القدسي الذي لا تناله يد، ولا يدركه بصر؟ بل أنّى للرسم أن يسوّي بين المقامين؟

وفي الثاني: نلحظ توافق الرسم والتلاوة وقفًا في قراءة حمزة ورواية هشام عن ابن عامر، وهما من القراء السبعة، ومن أوجه الوقف عندهما إبدال الهمزة ياءً لتصبح (مِن وَرَآيْ) في أربعة أوجه، يقول القاضي: "(من وَرَاى) رسمت الهمزة على ياء؛ ففيه لحمزة وهشام وقفًا تسعة أوجه: الإبدال ألفًا مع القصر والتوسط والمد، ثم التسهيل بالروم مع المد والقصر، ثم الإبدال ياء ساكنة مع القصر والتوسط والمد، ثم روم حركتها مع القصر" (القاضي، د.ت: ٢٨٨).

ولو رسمت الهمزة على السطر فكيف تبدل الهمزة ياء ساكنة مع القصر والتوسط والمد، ثم ياءً مع الروم؟ فهذه أربعة أوجه في الوقف يتوافق فيها الرسم والأداء، والقراءة سنّة متبعة لا ابتداع فيها، ومن شروط الأخذ بها موافقة الرسم العثماني.

والحاصل أن رسم (وراء) جاء على المعتاد بهمزة على السطر مع المألوف فيما يَتوارى ويُتَوارى به من المحسوسات، وحين استخدمت الكلمة نفسها لكلام الله مع من شاء من عباده كان الحجاب ساترًا ومستورًا في آن معًا، ورسمت الهمزة على صورة الياء (وَرَآى) تمييزًا للمقام عما سواه، وهي مع ذلك تعدّ من الرسم الإشاري؛ إذ توافق الوقف على الهمزة بإبدالها ياءً ساكنةً في بعض الأوجه لدى حمزة وهشام من القراءات السبعية.

الخاتمة

استعرض المبحث الأول من هذه الدراسة كتابةَ الوحي ابتداءً بعهد النبي صلى الله عليه وسلم، وتكليفه ثلة من الصحابة الكرام بكتابة ما يتنزّل به جبريل عليه السلام، ثم جَمْعَ ما تفرّق من الصحائف بين لوحين في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم استنساخ مصاحف الأمصار عن ذلك المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه، وعرض بإيجاز مواقف أبرز الدارسين من الظواهر الكتابية التي تفرّد بها الرسم العثماني في ثلاثة مسالك، هي: سوء الهجاء والبداوة، والتعليل اللغوي، والتكامل بين الرسم والمعنى، وبيّن تأييد الباحث للمسلك الثالث.

وفي المبحث الثاني ناقش اثنتي عشرة كلمة، رُسم كلّ منها بصورتين مختلفتين، مرتبة على حروف المعجم بحسب الجذور، حاول الباحث التماس دلالات في الرسم توافق ما ذكره أهل التفسير، ولا تنأى بالكلمة عن المعاجم وما ارتضاه أهل اللغة، وخلص إلى النتائج الآتية:

رسم الهمزة على صورة الياء: رُسمت الهمزة على صورة الياء في كلمتين، هما: (وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ) و(وَرَآيِحجَاب)، وفي الكلمتين كان المعنى على التخصيص تفضيلًا وتعظيمًا؛ ففي الأولى صدقة وصلة رحم، وفي الثانية كان الحجاب حاجبًا ومحجوبًا في الوقت نفسه، والمحجوب لا تدركه الأبصار جل جلاله.

رسم الهمزة على صورة الواو:رُسمت الهمزة على صورة الواو في كلمتين، هما: (دُعَٰٓؤُاْ) و(ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ)، وفي الكلمتين كان المعنى على التخصيص؛ ففي الأولى تخصيص تفضيل وتعظيم؛ لأنه (دُعَٰٓؤُاْ) الحق جل جلاله مقابل دعاء الباطل من الأوثان؛ وفي الثانية تخصيص تمييز؛ ففيه يتميّز (ضُعَفَٰٓؤُاْ) المكانة الاجتماعية مقابل القادة من الذين استكبروا، يتميّزون من (ضُعَفَٰٓءِ) البدن والقوة الجسمية.

هذا فضلًا عما في رسم الهمزة على صورة الياء والواو من توافق في الأداء عند حمزة وهشام عن ابن عامر من القراء السبعة، إذ يقف كل منهما في الأولى على الياء بأربعة أوجه، وفي الثانية على الواو بسبعة أوجه.

إبدال الألف الممدودة بالمقصورة: أُبدِلت الألف الممدودة بالمقصورة في كلمة واحدة وهي (طَغَا) وكان المعنى في سياقها يدل على طغيان الماء طاعة لله، وتنفيذًا لأمره، مقابل (طَغَىٰ) دلالة على طغيان فرعون ومن آثر الحياة الدنيا معصية لله واستكبارًا.

حذف الألف:حذفت الألف في الرسم من سبع كلمات، وهي: (هَٰذَٰنِ/ فَذَٰنِكَ)، و(ٱلرَّضَٰعَةَ)، و(رُغِبُونَ)، و(ٱلصَّٰدِقُونَ)، و(أَضْعَٰفًا)، و(إِطْعُم)، و(أَلْوُحِ)، وارتبط حذف الألف في هذه الكلمات بثلاثة معانٍ:

الأول: التقارب وزوال الخلاف، وقد وجدنا هذا المعنى في الإشارة إلى (موسى وهارون)، وإلى معجزتي موسى (العصا واليد)، وذلك مقابل الإشارة إلىالخصمين وما بينهما من خلاف وتخاصم.

الثاني: تفاوت الرتبة في المقام، وقد وجدنا ذلك في:

١. ارتباط (ٱلرَّضَٰعَةَ) بالحد الأدنى من الإرضاع زمنًا ومقدارًا لما ينبني عليه من أحكام فض النزاع بين الأبوين، وتحريم النكاح، ونفقة المطلقة، مقابل تمام (ٱلرَّضَاعَةَ) بالحد الأعلى حولين كاملين.
٢. ارتباط (رُغِبُونَ) بالانكسار والخضوع، مقابل التأبي والامتناع في (رَاغِب).
٣. ارتباط (أَضْعَٰفًا) بالمعصية في أكل الربا، مقابل (أَضْعَافًا) بالطاعة في القرض الحسن.
٤. ارتباط (إِطْعُم) بالصدقة التطوعية، مقابل (إِطْعَام) بالكفارة الواجبة.
٥. ارتباط (أَلْوُح)بالسفينة الأرضية، مقابل (ٱلْأَلْوَاحِ) بصُحُف موسى السماوية.

الثالث: تخصيص في المعنى، وقد وجدنا ذلك في ارتباط (ٱلصَّٰدِقُونَ) بالقول فقط، مقابل (صَادِقَ ٱلْوَعْدِ)، والوعد قول وفعل، والصدق فيه إنما هو صدق القول وإنجاز الوعد معًا.

الهوامش:

(١)هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي، من كبار حفاظ الحديث، توفي سنة (٨٠٦ ه).

(٢) جدير بالذكر أن الفراء هنا اختلط عليه أي الكلمتين ليس لها نظير، وهي (لَأَاْذْبَحَنَّهُ)، أما التي كتبت بألف وبغير ألف فهي (وَلَأَوْضَعُواْ)، يقول الداني: "عن عاصم الجحدري قال في الإمام (وَلَأَاْوْضَعُواْ) في التوبة، و(أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ) في النمل بألف، وقال نصير: اختلفت المصاحف في الذي في التوبة، واتفقت على الذي في النمل"(الداني، د.ت: ٥١).

(٣) هوعبد العزيز بن مسعود، أبو فارس، الدباغ، متصوف من الأشراف الحسنيين. توفي بفاس سنة ١١٣٢هـ.

(٤) هوأحمد بن مبارك بن محمد، أبو العباس السجلماسي، فقيه مالكي، عارف بالحديث والتفسير،توفي بالطاعون سنة ١١٥٦هـ، ودفن مع شيخه عبد العزيز الدباغ في عدوة فاس الأندلس.

المصادر والمراجع

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، ١٩٨٧، صحيح البخاري، ط١، دار الشعب، القاهرة.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٠هـ)، ١٩٩٧، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة، الرياض.

ابن البناء المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (٧٢١هـ)، ١٩٩٠، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق: هند شلبي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (٦٩١هـ)، ١٩٩٨، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (٨٣٣هـ)، ٢٠١٨، نشر القراءات العشر، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، ط١، دار الغوثاني، بيروت-إسطنبول.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(٤٠٥هـ)، ١٩٩٠، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحمد، أ. د. غانم قدّوري، ٢٠١٦، "رسم المصحف بين التعليل اللغوي والتوجيه الدلالي"، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، العدد١، ص: ٢٣-٨٠.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، ١٩٩٣، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن (٨٠٨هـ)، ١٩٨٨، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (٤٤٤هـ)، ١٩٩٧، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، إعادة ط٢، دار الفكر، دمشق.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (٤٤٤هـ)، د.ت، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

الدمياطيّ الشهير بالبناء، شهاب الدين أحمد بن محمد (١١١٧هـ)، ٢٠٠٦، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه: أنس مهرة، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٤هـ)، ١٩٨١، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط١، دار الفكر، بيروت.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، ١٤١٢هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم والدار الشامية - دمشق وبيروت.

الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ)، ١٤١٤هـ تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، دار الفكر، بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، ١٩٩٨، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (٣٧٥هـ)، ١٩٩٣، تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوّض- وعادل أحمد عبد الموجود- ود زكريا عبد المجيد النوتي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، د.ت، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، د.ط، دار القلم، دمشق.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، ١٩٩٦، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

شملول، محمد، ٢٠١٠، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ط٣، دار السلام، القاهرة.

الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ)، ١٩٩٨، فتح القدير، ط٢، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت.

الشيخ، د. حمدي، ٢٠١٠، الإعجاز البياني في الرسم العثماني، د.ط، دار اليقين، المنصورة - مصر.

الصباغ، د. محمد بن لطفي، ١٩٩٠، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، ٢٠٠١، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، الجيزة - مصر.

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، ١٩٨٤، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤٢هـ)، ٢٠٠١، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧هـ)، ١٩٨٣، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف النجاتي، ط٣، عالم الكتب، بيروت.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني (١٤٠٣هـ)، د.ت، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، دار الكتاب العربي، بيروت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، ٢٠٠٦، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

القليني، د. سامح عبد الفتاح، ٢٠٠٨، الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، ١٩٩٩، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض.

ابن المبارك السجلماسي، سيدي أحمد (١١٥٦هـ)، ٢٠٠٢، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، ١٤١٤هـ لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت.